حكاية "المصادر المطلعة" ومعلوماتها "الخطيرة"!

في خدمة المخطط المعادي :

أخبار ملفقة عن انتصارات وهمية وترويج الشائعات المضللة واستغلال الاخطاء الفردية والطائفية

اصبح معروفا ان العوامل التي تضمن بتوفر شروطها الانتصار على الخصم في المعارك العسكرية لا تقتصر على الجانب العسكري فحسب ، ولكن يجب توفر شروط اخرى ذات اهمية بالغة لضمان هذا الانتصار .

وتلجأ الاطراف المتحاربة عادة الى عدة وسائل غير عسكرية ، لتصديع قوة ووحدة الطرف الاخر ، واهم هذه الوسائل غير العسكرية على الاطلاق هي « الحرب النفسية » .

« والحرب النفسية » ليست وقفا على الاطراف المتحاربة عن طريق جيوشها في الميدان ، بل ان « الحرب النفسية » لها دور كبير في الحروب الاهلية وفي الثورات والانتفاضات المسلحة .

الاعلام والحرب النفسية

وتلعب اجهزة الاعلام الدور الاساسي في « الحرب النفسية » بما تمتلكه من قدرة على الانتشار والاستقصاء .

وفي هذا المقال سنحدد - بسرعة - طبيعة الحرب النفسية التي استخدمها الخصم الانعزالي في مواجهة الحركة الوطنية اللبنانية والثورة الفلسطينية وجماهيرها .

خطان للحرب النفسية الانعزالية

ومن الممكن القول ان القوى الانعزالية لجأت الى خطين متوازيين في حربها النفسية هذه :

● الخط الاول ، وميدانه ساحة الطرف الاخر : الجماهير اللبنانية والفلسطينية والقوى الوطنية والثورية على الساحة اللبنانية .

وفي هذا المجال ، استغلت القوى الانعزالية كل المناسبات من اجل شن حملات تعبوية بغيضة تهدف الى زعزعة صمود الجماهير الوطنية اللبنانية والفلسطينية وذلك عن طريق :

■ بث اخبار ملفقة عن انتصارات عسكرية وهمية ، ولعل « سقوط » مخيم تل الزعتر الصامد عدة مرات حتى الان من اذاعات الطرف الانعزالي هو دليل حي على ذلك .

■ استغلال الصعوبات الحياتية التي هي نتيجة طبيعية لانهيار مؤسسات الدولة ، ونتيجة حتمية لاي حرب ، وقد استفادت القوى الانعزالية من الاخطاء التي ارتكبتها بعض اطراف حركة المقاومة ، واتهمتها بتخزين المواد التموينية ومنعها عن المواطنين .

خطورة المساومات السياسية

■ كما استغلت القوى الانعزالية - بنجاح - لجوء بعض القيادات في بعض الاحيان الى المساومة السياسية في وقت اندلاع القتال الضاري بشكل كبير . فقد كانت نشرات اخبارها وتعليقاتها تقول ما معناه « ان المقاتل هو الذي يفقد نفسه من اجل لا شيء ، اما القادة فها هم مجتمعون ويتسامرون » . وينطبق هذا على ربط نتائج معركة « شكا » بلقاء صوفر الشهير .

■ كان تقدم القوى الفاشية الجزئي في الفترة الاخيرة ، ارضا خصبة لنشر الشائعات ولعل « المعلومات » التي دأبت بعض الصحف على نشرها مؤخرا ، تعطي مثالا نموذجيا على مقدار استغلال القوى الانعزالية لحالة البلبلة في المناطق المحررة من جراء بعض انتصاراتها .

الورقة الاخطر

■ تنبهت القوى الفاشية مؤخرا الى قضية هامة جدا من حربها النفسية ، فبدأت تعلن ان لا خلافات بين اللبنانيين ، وانها على استعداد لاعداد سكان المناطق المحررة بكافة المتطلبات الحياتية ، وان المشكلة ستنتهي بسرعة ، حالما تحل المشكلة اللبنانية - الفلسطينية ! ولعل هذه الورقة ، اخطر ورقة شهرتها القوى الانعزالية في حربها النفسية ، في حين تركز على الاختلافات بين قوى الثورة وتسعى الى تعميقها على طريقة الاشاعات والاخبار الملفقة .

● اما الخط الاخر ، فقد مارسته القوى الانعزالية ضمن المناطق التي تسيطر عليها ، ويمكننا القول ان نشاطها ضمن هذا الاطار ، اتخذ الملامح التالية :

■ استغلال الاخطاء الفردية ، خاصة الاخطاء الطائفية وتضخيمها ، واستخدامها في الدعاية ضد القوى الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية ، والجريمة التي ارتكبت في « الدامور » هي مثال حي على الخدمة «الجليلة» التي ادتها اخطاء بعض الافراد لمخططات القوى الانعزالية . وخطورة استخدام هذا الاسلوب لا يكمن في تشويه اهداف نضال قوى الثورة فحسب ، بل انه - وضمن الاسلوب الدعائي التي استخدمته القوى الانعزالية ، يجعل بعض المسيحيين المنتمين للميليشيات الطائفية ، وغير المنتمين ، يشعرون ويفكرون بضرورة تعاطفهم مع القوى الفاشية حماية لانفسهم وممتلكاتهم « المعرضة للدمار من قبل الطرف الاخر الذي لا يوفر احدا » .

ذوي السحن المختلفة

■ استخدام الشائعات : وقد تطرفت القوى الفاشية في هذا الاسلوب الى درجة مزرية بالفعل ، فقد اشاعت ان بين صفوف المحاربين الوطنيين ، اناس « ذوي سحن مختلفة » ! كما اشاعت بان باكستانيين وصوماليين يشاركون في القتال ضدهم ! وهدف هذه الاشاعات ليس ايقاظ النعرة الطائفية فقط ، بل انما تسهم في ايجاد مبررات لهزائمها المتلاحقة بمعنى انها تواجه قوى متعددة ومختلفة .

■ عندما تخطط القوى الانعزالية لشن معركة شاملة على احد المواقع الوطنية تعبىء جماهير المنطقة التي تقع تحت سيطرتها ، بأن المعركة الفلانية هي الاخيرة ، وبعد ذلك « لن يكون هناك قتال » وانها « المعركة الحاسمة » وبعدها « سيسود السلام ، وسيتوقف النزف الدموي » ومن الضروري الانتصار في هذه المعركة وحشد كل ما يمكن في سبيلها ، الخ وقد اتبع هذا الاسلوب مؤخرا لدى الاعداد لمعركة تل الزعتر .

■ تعزي القوى الفاشية النقص في المواد التموينية ، وانقطاع الكهرباء والمياه من المناطق الواقعة تحت سيطرتها الى الحرب التي يشنها « الفلسطينيون والغرباء والانفصاليون » ، كما تبرر ابتزاز الاتاوات والخوة من المواطنين بضرورة توفير امكانيات « الدفاع » .

■ وتلجأ القوات الانعزالية الى اخفاء خسائرها الاجمالية ، في الوقت الذي تضخم خسائر خصمها ، وتظهر نفسها في مظهر الاقوى ، وتبرر هزائمها .

التنسيق بين الاجهزة المعادية

● ومن الجدير بالذكر في هذا المجال ، مقدار التنسيق « رفيع المستوى » بين القوى الانعزالية والمخابرات المركزية الاميركية والرجعية العربية ، في ميدان الحرب النفسية ، كما في الميادين الاخرى .

■ ففي الوقت الذي كانت القوى الانعزالية تحرز بعض الانجازات على صعيد الميزان العسكري - خاصة بعد الانحياز العسكري السوري الكامل لمصلحتهم - كانت الاجهزة المخابراتية تهيء لحملة تعبوية مضادة ، للاستفادة من هذا الوضع على اوسع نطاق ، فنشطت حملة الشائعات المغرضة ، التي تفيد بأن هناك مخططات عسكرية تستهدف الهجوم الكاسح والواسع على المناطق المحررة ، خاصة المنطقة الغربية من بيروت .

ولجأت هذه القوى الى « تسريب » بعض « المعلومات » حول تفاصيل الاعداد لهذا الهجوم ، ويلاحظ هنا ان « الخطط » هذه محبوكة بشكل يوحي بدقتها وصدقها . ورغم ان حظر الهجوم الانعزالي السوري على بيروت الغربية والمناطق المحررة حقيقي وقائم ، الا ان هناك فارق بين هذا وبين التهويل بقصد البلبلة والتخويف وتسهيل الهجوم الحقيقي .

وبهذا الصدد ، يهمنا القول ، ان مصادر تصف نفسها « بالاطلاع » كثيرا ما تسرب عن طريقها مثل هذه المعلومات .

■ ويلاحظ ان هذه « المعلومات » التي تسرع الصحف المحلية في نشرها بغرض « السبق الصحفي » تترافق « لتأكيد صحتها » مع حملة دبلوماسية تستهدف صبغ الجو بالتوتر المطلوب ، وفي هذا الصدد يذكر بالكيفية التي ابلغت السلطات الاميركية سفارتها ورعاياها بمغادرة البلاد بسرعة ، كما طلبت من كل الاجانب الراغبين في السفر الى تسجيل اسمائهم قبل فوات الاوان ، ولعله من المفيد الاشارة هنا الى ان السفارة الاميركية ، كانت قد عممت على السفارات الاوروبية ان البلد ستشهد وضعا عسكريا خطيرا خلال هذا الاسبوع وانها لن تضمن سلامة احد نتيجة هذا الوضع وانفجاره بشكل لم يسبق له مثيل .

اسرائيل في الساحة

■ ان النموذجين السابقين يذكران بما كانت تلجأ اليه السلطات الصهيونية ، لدى كل عملية عسكرية ارهابية من حيث التمهيد لها عن طريق « حرب دعائية نفسية » تهدف الى اشعار خصمها بعدم قدرته على القتال والدفاع عندما تستخدم جحافلها وقواتها . وفي هذا المجال يمكن القول ، ان حملة التصريحات الاخيرة والاجتماعات الوزارية ، تهدف الى صبغ الوضع في لبنان بجو من التوتر يجعل الاحتمالات والمعلومات التي تنقلها « المصادر المطلعة » اقرب الى التصديق .

وبالطبع ، فاننا لن نتمكن في هذه السطور من حصر كل الاشكال التي تجندها الحرب النفسية الانعزالية في سبيل قهر خصمها المتمثل بالقوى الثورية على الساحة اللبنانية لكننا اشرنا الى اهم الوسائل والطرق المستخدمة بهذا الصدد .

لن ينجحوا ؟

ويهمنا التأكيد مرة اخرى ان الفترات التي تلي تقدما تحرره القوى الانعزالية ، تكون هي الفرصة الانجح بالنسبة لها لممارسة حربها النفسية ، والفترة التي تعيشها الجماهير الوطنية الان على اثر اختلال ميزان القوى لمصلحة خصمها ، نظرا لتكالب القوى الرجعية وعلى راسها النظام السوري ، وانخراطه في القتال ضدها بشكل مباشر ، هذه الفترة هي من اخطر الفترات التي تعمل بها الحرب النفسية بنجاح بين صفوفنا ، وتنتشر الشائعات المغرضة ، الهدف منها : زعزعة صمود الجماهير ، تمهيدا لتفكيك الوحدة الثورية بين شتى الفصائل التي تقاتل سويا في مواجهة الخطر الانعزالي والنظام السوري .

"أسقطوا تل الزعتر في بياناتهم عدة مرات ولم يسقط!"